المعنى عند لودفيغ فيتغنشتاين
بين نظرية الرسم المنطقي وألعاب اللغة

الطالب الباحث محمد عزوزي
المغرب

تقديم

برزت مشكلة المعنى كواحدة من أهم المشكلات التي حظيت باهتمام بالغ في النقاشات الفلسفية خلال القرن المنصرم. وقد ساهمت في بروز هذه المشكلات التحولات التي حدثت في الفلسفة منذ نهاية القرن التاسع عشر، عندما تم التخلي عن الطريقة التقليدية في المذاهب الفلسفية إلى طرق ومناهج جديدة جاءت بتغييرات في طبيعة المشكلات والقضايا الأساسية التي تناقشها الفلسفة.

يتناول هذا البحث الصلة بين مشكلة المعنى وتصور فيتغنشتاين للفلسفة، وذلك في محاولة للإجابة عن السؤال عما إذا أثر التحول الذي طرأ على أفكار فيتغنشتاين الفلسفية فيما يخص المعنى، وتصوره للفلسفة في مرحلة تفكيره الفلسفي الأولى والمتأخرة.

ففي مرحلة تفكيره الفلسفي الأولى مثلت النظرية التصويرية للمعنى المنطلق الذي بناء عليه قدم أفكاره الفلسفية التي اعتمدت تحليل اللغة منهجا لها. وتنص النظرية على أن معنى العبارة هو ما تقوم بتصويره من وقائع في العالم، أي أن معنى العبارة يطابق الواقعة الموجودة في العالم، الذي يتكون بدوره من مجموعة من الوقائع المركبة ووقائع الحال.

أما في مرحلة تفكيره المتأخرة فقد تخلى عن تصوره للمعنى المرتبط بالقضية صورة للواقعة، وذهب إلى أن المعنى يتحدد بالاستخدام السياقي للألفاظ، وربط اللغة بشكل عام بالألعاب اللغوية ونشاط الحياة، ونتج عن ذلك بأن معاني الألفاظ التي يستخدمها الإنسان أصبحت مرتبطة بالأفعال التي يقوم بها في حياته اليومية. وكل سياق يقدم معنى خاصا للفظ وطريقة استخدام الألفاظ تتبع قواعد معينة. ومع هذا التحول أصبحت اللغة صورة للأفعال، وهي صورة متحركة؛ أي متحركة بحسب الاستعمال الذي ترد فيه بعكس الصورة في مرحلة تفكيره الأولى.

وعليه فالسؤال الذي يطرح نفسه والذي يشكل محورا لهذا العرض هو: هل حافظ فيتغنشتاين على تصوره للفلسفة بعناصره الأساسية بعد أن تحول مفهومه للمعنى من كون القضية صورة للواقعة إلى ربط اللغة بالأفعال والألعاب اللغوية؟ ستتم مناقشة هذه القضية بالتفصيل من خلال تتبع العناصر الأساسية السابقة لتصوره للفلسفة في أفكاره التي ظهرت في مرحلة تفكيره الفلسفي المتأخرة.

الفصل الأول: تصور فيتغنشتاين للفلسفة في مرحلة تفكيره الفلسفي الأولى

لقد جعل "فيتجنشتاين" من التحليل القاعدة الأساسية لكل فلسفته، ونقطة ضرورية للانطلاق في عالم الفلسفة كما هو شأن مجموعة من فلاسفة القرن 20 (إدوارد مور، برتراند راسل... إلخ) الذين ذهبوا إلى اعتبار التحليل هو كل عمل الفلاسفة أو هو الفلسفة ذاتها،" فيتجنشتاين" اتخذ التحليل منطلقا للفلسفة لأنها تقوم أساسا على نشاط يوضح ما نعرفه فعلا من قبل، وذلك بحل المشكلات التي تنتج عن الخلط العقلي وسوء الفهم. اللذان ينتجان عن سوء استخدامنا للغة.

استخدم "فيتجنشتاين" التحليل كما قلنا، كمنهج في الفلسفة، وليس كغاية فلسفية، فهو مثلا، لا يستخدم التحليل لمجرد تقسيم أو لرد اللغة إلى عدة قضايا كما جاء في كتابه الأول" رسالة منطقية- فلسفية"، أو لرد المعنى لطريقة استخدامنا الألفاظ، وإنما يستخدم

التحليل لتوضيح المشكلات الفلسفية، هذه المشكلات إن هي وضعت تحت مجهر التحليل زال عنها كل غموض، واتضح أنها زائفة أو أنها ليست بمشكلات أصلا[1].

في كتابه "رسالة منطقية، فلسفية "يقول فيتجنشتاين: "إن معظم القضايا والأسئلة التي كتبت عن أمور فلسفية ليست كاذبة، بل خالية من المعنى، فمعظم الأسئلة من هذا القبيل، وكل ما يسعنا أن نقرره عنها أنها خالية من المعنى، فمعظم الأسئلة والقضايا التي يقولها الفلاسفة إنما تنشأ عن حقيقة كوننا لا نفهم منطق لغتنا، وإذن فلا عجب، إذا عرفنا أن أعظم المشكلات ليست مشكلات على وهذا معناه أن كل القضايا التي تناولها الفلاسفة باعتبارها مشكلات إنما هي ناتجة عن كونها لا نفهم منطق لغتنا وهذا ما يسقطنا في سوء الفهم.

وعليه، فالاهتمام الذي أولاه" فيتجنشتاين" للتحليل جعله يذهب في "الرسالة" إلى اعتبار الفلسفة كلها عبارة عن "نقد للغة"[3]. وترتب عن هذا القول، أن أصبحت الفلسفة عنده هي "التوضيح المنطقي للأفكار والعبارات التي تصاغ بها هذه الأفكار"، وهذا ما يؤكد عليه بقوله: "إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار والعبارات، فالفلسفة ليست نظرية من النظريات، بل هي فاعلية، ولذا يتكون العمل الفلسفي أساسا من توضيحات، ولا تكون نتيجة الفلسفة عددا من القضايا الفلسفية، إنما هي توضيح للقضايا، فالفلسفة يجب أن تعمل على توضيح وتحديد الأفكار بكل دقة، وإلا ظلت معتمة مبهمة، إذ جاز لنا هذا الوصف[4].

أولا: تحليل العالم

"العالم هو كل ما هناك"[5].

"العالم هو مجموع الوقائع، لا الأشياء"[6].

لا نستطيع فهم تحليل اللغة عند "فيتجنشتاين" من دون تحليل العالم، لأن العلاقة بين اللغة والعالم هي علاقة توازي، وفهم أحدهما يعتمد على فهم الآخر، وتحليل العالم عنده كان ضرورة استدعاها "تحليل اللغة"، ونحن إذا أردنا أن نتحدث عن العالم وجب أن يكون هناك شيء مشترك بين اللغة والعالم، وهذا الشيء المشترك هو البنية، ويمكننا أن نعرف بنية أحدهما، إذا عرفنا بنية الآخر، ولأن المنطق يظهر بنية اللغة، فهو يظهر بنية العالم كذلك.

لقد كانت كلمة "العالم" هي أول مصطلح أشارت إليه الرسالة، ويرى (ل.ف) أنه لكي تحقق اللغة ماهيتها لابد من شرط أساسي هو العالم، ولهذا يكون معنى العبارة رقم 1 أن العالم يتكون من كل ما هو موجود، بحيث يدخل كل ما هو موجود في تكوينه، وبهذا يكون العالم مركب وليس بسيط، لكن كثيرا ما طُرح السؤال عن معنى العالم الذي يتحدث عنه (ل.ف) هل هو عالم ممكن أم عالم فعلي؟؟

يؤكد مجموعة من الدراسين[7] لفلسفة "فيتجنشتاين" أن كلمة" العالم" عنده غير واضحة ولا محددة تحديدا يجعلنا على يقين من المعنى الذي يعطيه لهذه الكلمة، فهو يشير أحيانا إلى العالم الموجود بالفعل، خاصة في العبارة التي يقول فيها "العالم هو مجموع وقائع لا أشياء" لأنه يقصد هنا بالوقائع تلك الوقائع الموجودة بالفعل، ويعبر عن هذا المعنى كذلك بقوله: "إن العالم حدوده الوقائع، وإن هذه الوقائع هي ما هنالك "[8]. الأمر الذي يجعلنا نعتقد ما يقصده بالعالم هو العالم الفعلي الواقعي.

تحليل الوقائع في الرسالة

"إن ما هو هناك، أي الواقعة، هو وجود وقائع الحال"[9].

من المفاهيم التي أدخلها "فيتجنشتاين" في الرسالة المنطقية الفلسفية نجد مفهوم الواقعة، لكن في الواقع، فلسفة "فيتجنشتاين" لازالت لم تفهم بشكل واضح، لأن التغيرات المتجددة لجوانبها تزداد مع مرور الوقت مما جعلها أشبه باللغز الذي يفسح المجال أمام كل مجتهد للكشف عما تتضمنه من آراء، لهذا نجد أغلب الدارسين يختلفون في تحديد مصطلحات (ل.ف) ومن أهم ما اختلفوا عليه نجد مفهوم الواقعة TaTsache ووقائع الحال Sachverhatt. فما هي هذه الوقائع التي ينحل إليها العالم أو يتكون منها العالم؟

إن "فيتجنشتاين" لم يعمل على توضيح المعنى الذي يقصده من كلمة واقعة، لكن التحديد الذي أعطاه لها هو تحديد سلبي إذ أنه حدد الواقعة في العبارة رقم 1.1 على أنها ليست أشياء، وعادة في فلسفته ينظر إلى الواقعة أنها ما يقابل القضية أو هي الجزء الذي تقارن به القضية، أو بتحديد أكبر هو ما ترسمه القضية، والوقائع ليست نوعا واحدا في الرسالة وهذا ما قد يوقعنا في اللبس عند استعمالنا لكلمة واقعة، يقول (ل.ف) "ما هنالك، أي الواقعة، هو وجود وقائع الحال" ومعنى هذا أن وجود الواقعة هو وجود وقائع الحال، مما يعني أنها تتكون من وقائع حال معقدة وبه فالواقعة مركبة وليست بسيطة.

كل واقعة تتخذ في "الرسالة" أكثر من معنى، فهي إما مركبة، تتكون من وقائع أبسط منها، وإما بسيطة لا تتكون من وقائع أبسط وهو ما يسيمه (ل.ف) واقعة الحال، وهي إما موجبة، وهي التي تشير إلى ترابط الأشياء على نحو معين في الواقع الخارجي، كأن أقول" القلم على يمين الكتاب" ويكون القلم على يمين الكتاب، وهي إما سالبة، وهي التي لا تمثل الطريقة التي توجد بها الأشياء في الواقع الخارجي، وقد عبر عنها (ل.ف) بقوله: "الوجود الخارجي (العالم) هو وجود أو عدم وجود وقائع الحال"[10].

لقد حلل (ل.ف) العالم إلى وقائع مركبة، وهذه الوقائع يرى أنها تنحل بدورها إلى وقائع أبسط منها، والواقعة البسيطة التي تتكون من وقائع أخرى ولا تنحل إلى ما هو أبسط منها يسميها "فتجنشتاين" بواقعة الحال، ويقصد بواقع الحال ما يقابل القضية الأولية إذا صادقة، أما الواقعة، فهي ما يقابل الناتج المنطقي لعدة قضايا أولية حين يكون هذا الناتج صادقا[11]. لكن ماذا يقصد فيتجنشتاين بواقع الحال؟؟

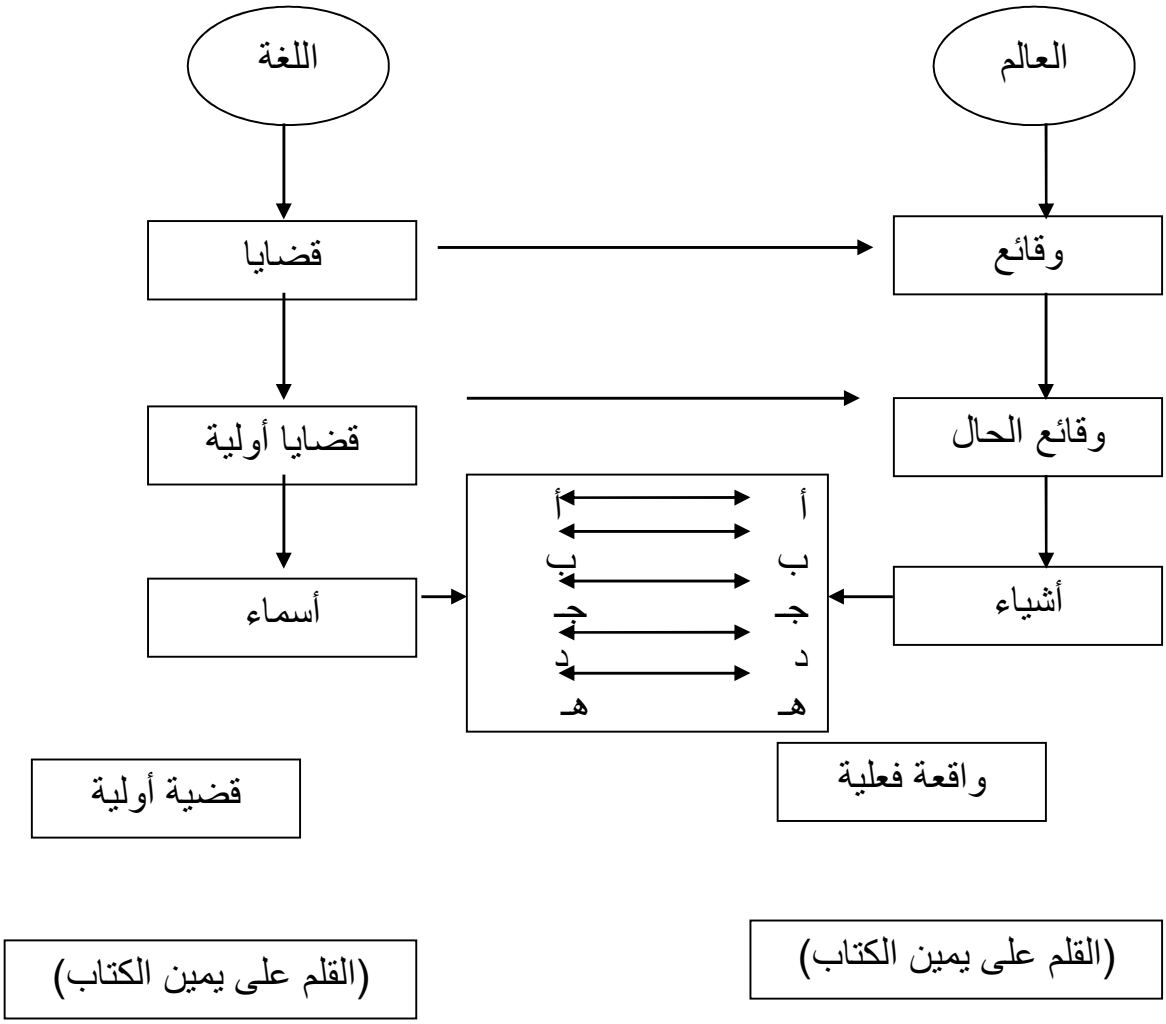

الشكل رقم 1: يوضح تصور (ل.ف) للعلاقة بين القضية الأولية وواقعة الحال (النظرية التصويرية للغة)

ثانيا: تحليل اللغة

لم يكن هدف "لودفيغ فيتجنشتاين" من تحليل العالم، إضافة نظرية في الأنطولوجيا، بل كان يبحث عن التقابل بين العالم واللغة، بل إن تحليل اللغة كان هو الهدف الأساسي في فلسفته، من خلال البحث في الوحدات المكونة لها. ومعالجة المشكلات التي يثيرها سوء استخدامها لمنطق اللغة، إلى درجة جعل كتاب الرسالة المنطقية الفلسفية: "يعالج مشكلات الفلسفة. ويوضح فيما اعتقد- أن ما دعا إلى إثارة هذه المشكلات، هو أن منطق لغتنا يساء فهمه"[12] وأن موضوع الكتاب ككل يمكن تلخيصه على النحو التالي: "كل ما يمكن قوله على الإطلاق، يمكن قوله بوضوح، وأما ما لا نستطيع أن نقوله، فلابد أن نصمت عنه"[13].

إن سوء استخدامنا للغة في نظر (ل.ف) هو الذي أدى إلى ظهور الكثير من المشكلات الفلسفية، وأن هذه المشكلات لن يتم حلها إلا إذا استخدمنا اللغة استخداما صحيحا، ولا يمكن أن نعرف ما إذا كان استخدامنا للغة صحيح أو غير صحيح إلا إذا عرفنا القواعد التي يجب أن نستخدم وفقها الألفاظ والقضايا التي تتكون منها اللغة[14]، والطريقة الوحيدة الممكنة هي تحليل اللغة، الأمر الذي جعله يقول: "إن الفلسفة كلها تحليل للغة"[15].

كل هذه العوامل أدت بفيتجنشتاين إلى إعطائه للغة تحديدا موحدا، وهو أن اللغة هي الفكر، لذلك نجده لم يفصل بينهما فصلا يجعل منهما عنصران من طبيعتان مختلفتان، بل إنهما شيئا واحدا، وبتعبير آخر وجهان لعلمه واحدة، فالهدف الرئيسي لفيتجنشتاين هو فهم بنية وحدود التفكير من خلال دراسة بنيته وحدود اللغة، وذلك بضبط الخطوط الفاصلة بين المعنى واللامعنى، فنجده يقول: "إن الفلسفة يجب ان تحدد ما يمكن التفكير فيه، وبالتالي مالا يمكن التفكير فيه، إنها تحدد مالا يمكن التفكير فيه، وذلك من خلال ما يمكن التفكير فيه"[16].

فإذا أخذنا على سبيل المثال المعنى الذي يعطيه" فيتجنشتاين" للغة في رسالته المنطقية الفلسفية بحيث يقول:" إن اللغة هي مجموع القضايا"[17]، وأن هذه القضايا ليست إلا أفكار في ذهن الإنسان"، "الفكر هو القضية ذات المعنى"[18]، يعني هذا أن الفكر هو قضية لغوية تحصل على معناها من خلال ما تشير إليه من وقائع خارجية، وبالتالي لم يعد الفكر عملية داخلية تتعامل مع المواضيع الصورية، أي ما يكون إزاء هيئة الأشياء (la figure des choses)، وليس الأشياء وكما هي موجودة في الواقع.

من خلال الرسالة المنطقية- الفلسفية نجد" فيتجنشتاين" يعرف اللغة بكونها مجموع القضايا، وهذه القضايا عندما نتكلم عنها، ليس من الضروري أن نتكلم عن المعنى، لأن فيتجنشتاين عندما يتناول القضايا، يتناولها من أكثر من زاوية، فهو أحيانا يتكلم عنها من حيث قيمتها الصدقية، وأحيانا أخرى يتناولها من زاوية الكم، ثم من زاوية الكيف، وفي كثير من الأحيان يتكلم عنها من ناحية المعنى.

لكن، كل ما يمكن أن نفهمه من فلسفة" فيتجنشتاين" وخصوصا حينما يتناول القضايا هو تمييزه بين نوعين من هذه القضايا: هناك قضايا تمثل حالات الطبيعة، وهي كل القضايا التي تحصل على صدقها من خلال تمثيلها بشكل صائب لحالة واقعية معنية، ويقصد هنا كل القضايا سواء كانت أولية أو مركبة، فإذا كانت قضية أولية فإنها تناسب واقعة حال معينة، وإذا كانت قضية مركبة، فإن قيمتها الصدقية تقتضي معرفة القيمة الصدقية لعناصرها الأولية والروابط التي تربط هذه العناصر، وهناك نوع ثاني من القضايا: وهي التي لا أي واقعة حال، هي قضايا المنطق.

إذا كانت القضايا التي تمثل حالات الطبيعة نبحث فيها عن المعنى من خلال ما تخبرنا به عن الواقع، فإن القضايا التي لا تعبر عن أي حالة من حالات الواقع لا نبحث فيها عن المعنى، لأن كل من قضايا التناقض وقضايا تحصيل الحاصل لا يعنيان شيئا، لأنهما لا يقولان شيئا، ويظهر هذا من خلال قول فيتجنشتاين" إن القضية تظهر ما تقوله (بحكم تركيبها)، وبهذا لا تقول قضية تحصيل الحاصل ولا التناقض شيئا"[19]، ولتوضيح الاختلاف في طبيعة الهدف بين قضايا الواقع/ القضايا الحقيقية، وقضايا المنطق نأخذ الأمثلة التالية:

1- قضايا حقيقية: الجو بارد

2- قضايا تحصيل الحاصل: إما أن الجو بارد أو ليس بارد

قضايا التناقض: الجو بارد وليس بارد

حسب لودفيغ فيتجنشتاين، يتحدد دور الفلسفة" يتحدد في توضيح وتجلية القضايا"[20] ولكن عن أي نمط من القضايا يتحدث؟ إنه يتحدث عن القضايا التي تتمظهر في معاني نستطيع أن نفكر فيها، بحيث "كل ما يمكن أن نفكر فيه، يمكن أن نفكر فيه بوضوح، وكل ما يمكن أن نعبر عنه يمكن أن نعبر عنه بوضوح"[21] والقضايا التي تتميز بالسمات السابقة هي قضايا العلم الطبيعي التي تصور الوجود الخارجي، ومن هذا المنطلق تكمن مهمة الفيلسوف في توضيح القضايا ذات الصلة بالتجربة، أي القضايا التي تنسب إلى العلم الطبيعي.

إن التحليل السابق يبين فكرة مفادها أن العالم يوصف وصفا صحيحا- فقط- عن طريق القضايا الأولية الصادقة، التي هي نتاج العلم خصوصا، وأن كل قضايا العلم الطبيعي تصف الوجود الخارجي، وقد قام (ل.ف) بتلخيص تصوره حول القضايا التي يمكن أن نحكم عليها بالصدق او الكذب من خلال قوله: "إن المنهج الصحيح في الفلسفة يتمثل في دعم قول شيء باستثناء ما يمكن قوله، وما يمكن قوله هو قضايا العلم الطبيعي"[22].

ثالثا: المعنى

إن نظرية "فيتجنشتاين" في اللغة، تعطي للقضية الأولية موقعا متميزا، حيث لا تعد هذه الأخيرة نموذجا للمعنى التام التحديد في اللغة، ولكنها تعد الضامن الوحيد للمعنى والصدق لباقي القضايا في اللغة، حيث تحتل موقعا وسطا في اللغة يجعلها تعمل همزة وصل بين العلامات الأكثر بساطة في اللغة (الأسماء). وبين العلامات الأكثر تركيبا في اللغة أي القضايا المركبة أو دوال الصدق. ولهذا عبر بكون القضية الأولية هي دلالات أسماء، كما أنها إجراء صدق للقضايا المركبة[23]. لكن لماذا افتراض القضية الأولية؟؟

لقد لجأ (ل.ف) إلى المصادرة على الأسماء، ومن تم على القضايا الأولية من أجل إقامة المعنى في اللغة، لأنه لو لم نصادر عليها لما قامت علاقة بين اللغة والعالم، ولما أمكننا بالتالي تحديد المعنى في اللغة، حيث إن افتراض وجود قضايا أولية في نظر (ل.ف) يجنبنا الوقوع في التراجع إلى مالا نهاية، ويمكننا أن نوضح فكرة بالمثال التالي: " المكنسة في الركن"، لكي نحدد معنى هذه القضية، يجب أن نحللها، وهكذا نبدأ بتحليل الوصف "المكنسة" إلى أوصاف أكثر تحديدا، بحيث نقول أن المكنسة يمكن تحليلها إلى الآتي: العصا- الفرشاة، ومن هذا التحيل نصل إلى القضية (2) والتي تتكون من قضيتين: العصا في الركن- الفرشاة في الركن، حيث معنى المكنسة في الركن يستند إلى صدق القضية (2)، وهكذا نرى وجه الضرورة في مصادرة (ل.ف) على وجود قضايا أولية في اللغة، لكي يكون للتحليل حد ينتهي إليه، وبالتالي تكون اللغة محددة"[24].

إن وضع (ل.ف) حد للتحليل عند القضية الأولية، إنما كان الهدف منه إبعاد التحليل أن يكون تزييفا، حيث إن القضية تحتوي على بنية، أي تحوز ترتيبا معينا لعناصرها فإذا حللناها إلى عناصرها فإنها تفقد ذلك الترتيب ولا يبقى منها سوى الكثرة المنطقية، أي الأسماء، ولا يكون التحليل بذلك إلا تزييفا لما يحلله، بالإضافة إلى وضع حد للتحليل، هناك سبب آخر جعل يفترض وجود القضية الأولية وهو ضمان المعنى والأرض في اللغة.

إن القضية الأولية هي المصدر الوحيد للمعنى والصدق في اللغة عند (ل.ف) وهي من هذه الناحية تمثل كل اللغة، أو بتعبير أكثر دقة، تمثل كل ما يمكن أن يقال في اللغة[25]. وهكذا يتبين أن اتخاذ القضية الأولية حدا للتحليل في الرسالة يكشف ان "فيتجنشتاين" لم يكن يريد منها ان تقيم المعنى في اللغة وحسب، ولكنه كان يريد منها أن تقيم معنى تاما يكون صادقا أو كاذبا على حالة الواقع[26].

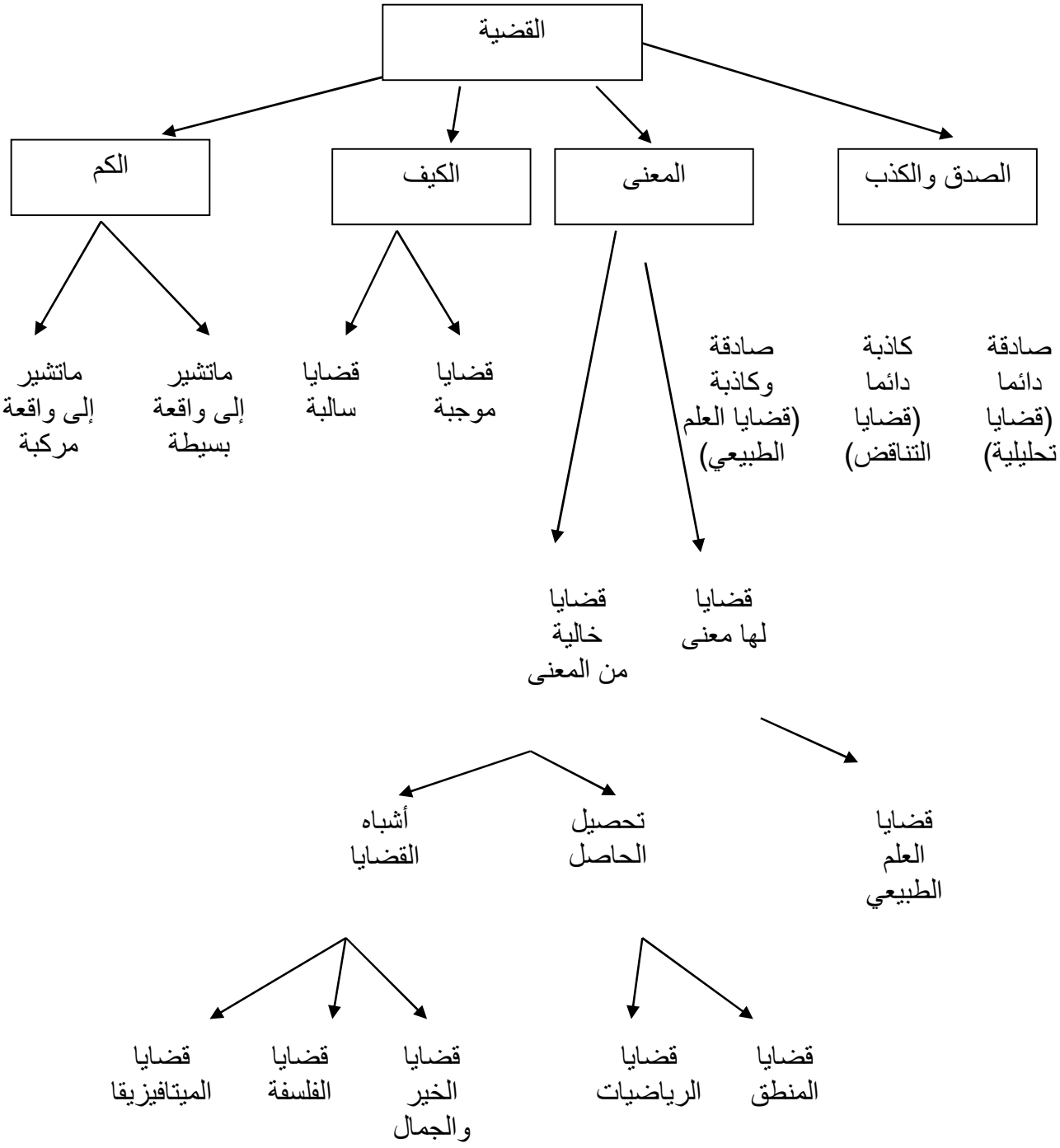

شكل يوضح الزوايا التي انطلق منها (ل.ف) في تصوره للقضية

الفصل الثاني: تصور فيتغنشتاين للفلسفة في مرحلة تفكيره الفلسفي المتأخرة

في هذا الفصل سنحاول مناقشة التحول الذي طرأ على مفهوم فيتغنشتاين للمعنى من كون اللغة صورة للوقائع كما ظهرت في الرسالة، إلى كون اللغة صورة للأفعال والسياقات والاستخدامات التي تعكس واقع الحياة اليومية في المجتمع.

وقد ظهر تصوره الجديد هذا في كتابه " بحوث فلسفية " والذي يقوم على كون اللغة مجموعة غير محددة من الطرق المختلفة لاستخدام الألفاظ سواء ما كان يستخدم في التعبير عن الأنشطة الاجتماعية أو في السياقات اللغوية المختلفة. وبالتالي، ليس هناك وقائع جامدة تقابلها لغة وصفية ساكنة كم كان الأمر في مرحلة تفكيره الأولى. وعلى الرغم من ذلك ظل هناك تشابه بين التصورين والمتعلق بالتحليل.

لقد وجه فيتغنشتاين تفكيره الفلسفي المتأخر فقد وجه تحليله إلى الاستخدامات المختلفة للغة، فالتحليل بالنسبة لفتغنشتاين هو غاية الفعل الفلسفي ووسيلة لحل المشكلات الفلسفية، والهدف منه توضيح اللغة لإزالة الغموض عنها، وإثبات أن المشكلات الفلسفية بمشكلات على الاطلاق.

أولا: مفهوم الألعاب اللغوية

اللغة لعبة مثل الألعاب الأخرى، كلعبة الشطرنج والورق، وكما أن لكل لعبة قواعد، كذلك للغة قواعد لابد من مراعاتها. اللغة لعبة، واللعبة نشاط بينداتي " حتى وإن كنا وحدنا ". من هذا المنطلق أكد أن اللغة نشاط اجتماعي، ورفض التسليم بوجود لغة خاصة، فلا يمكن تصور أن لشخص ما لغته الخاصة. وبما أن مثل هذه اللغة الخاصة غير ممكنة، فكذلك الحال بالنسبة للدلالة، فالدلالة ليست خاصة ولا فردية بل عامة واجتماعية.

للغة عدة وظائف من قبيل الاستفهام والتعجب إلخ. هذه الوظائف المتعددة تعطي لكلماتها وتعابيرها معان عدة تتحدد بطريقة استعمالنا لها. وفي هذا المقام شبه وظيفة الكلمات بالأدوات التي يحتويها صندوق ما، فهناك مطرقة ومنشار ومفك ومسمار...تختلف وظائف ألعاب اللغة كما تختلف وظائف هذه الأدوات. فكما أن لكل أداة وظيفة أو أكثر، فنفس الأمر ينطبق على اللغة كلعبة. بالتالي فحل المشاكل الفلسفية لا يتم عن طريق تعريف الكلمات، وإنما في التحكم في طريقة استعمالها في الألعاب اللغوية. فالدلالة ترتبط بما بلعبة اللغة.[27]

وعليه فحل المشاكل الفلسفية لن يكون ببناء نظرية للدلالة، بل يكمن في تدقيق الطريقة التي نستعمل بها الكلمات في لعبة اللغة. وبما أننا سلمنا بأن للغة وظائف عدة فلم تعد اللغة تنحصر في التصوير، لأنها لم تعد حسابا منطقيا صارما، فمعاني الكلمات تختلف باختلاف الاستعمال، ولم نعد نربط دلالة كلمة ما بواقعة حال بل باستعمالاتها. وبما أننا نستعمل اللغة لأغراض عدة ومختلفة، كالكلام عن العلم والدين والجمال.. فيمكن ان نساهم في لعبة علمية للغة، ولعبة دينية للغة، ولعبة فنية للغة.

إن لعبة اللغة هي دائما تامة، هي نسق مغلق ومحدد من طرف القواعد، وكل تغيير أو تعديل لقاعدة يعد تعديلا أو تغييرا للعبة ككل؛ فلا يمكن عزل حالة تكون محط لعبة واحدة فقط. ومع ذلك يؤكد أن هذا لا يعني أن مجرد التحكم في قواعد اللغة يعني التحكم في لعبة اللغة، فبالإضافة إلى معرفة القواعد التي تشكل اللعبة، يجب أن نتعرف على كيف تطبق هذه القواعد

ثانيا: مفهوم التشابه العائلي

يمكن أن تكون لنفس الكلمة استعمالات عدة، وما تلتقي فيه هذه الاستعمالات هو ما يسميه التشابه العائلي: فالملاحظ أن أعضاء عائلة ما قد تتشابه فيما بينها، لكن لن يذهب الأمر إلى حد التشابه في كل شيء. قد تكون هناك تشابهات عدة بين أفراد عائلة ما، مثل

البنية والوجه والملامح.. الخ لكن لا يمكن أن تشمل كل شيء. ومن ثم أكد على أن اللغة تتمتع بدروها بخاصية التشابه العائلي. يقارن بين استعمال الكلمات ووظيفة اللغة باللعب[28].

ثالثا: مفهوم الاستعمال

إذا كان قد أخذ بالتطابق في رسالة منطقية فلسفية كمعيار للصدق، فإن الأمر سيتحول في بحوث فلسفية إلى صحة استعمال الألفاظ؛ ليعيد بذلك الاعتبار للغة الطبيعية. فلم يعد المعنى ثابتا وإنما يتغير بتغير طرق استعمال الألفاظ: فالسؤال عن المعنى سؤال عن الظروف المعينة التي تستعمل فيها هذه العبارة بالفعل " لا تسأل عن المعنى بل اسأل عن الاستعمال ".

رابعا: فيتغنشتاين بين القطيعة والاستمرارية

عاد فيتغنشتاين إلى الفلسفة بعد سبع سنوات من الانقطاع عن الكتابة، ليتخلى عن بعض الدعاوى التي سبق أن تبناها في " رسالة منطقية فلسفية " مع الاستمرار في تبني بعض المواقف. ويمكن إجمال التصورات التي استبعدها في:

أ- الذرية المنطقية

ب- الرد الماصدقي

ت- الوظيفة التصويرية للغة

ث- المنطق ليس اللغة الوحيدة الكاملة[29]

تتجسد القطيعة كذلك في الأفكار الجديدة التي جاء بها، منها أن الفلسفة لا يجب أن أن تهتم بلغة أمثل، بل باللغة العادية. ثم ربط المعنى بالاستعمال، وبالجملة يمكن القول بأنه لم يعد للمنطق نفس الدور، وكذلك الفلسفة؛ كما عدل من نظرته للتحليل الموروث عن الذرية المنطقية؛ ومع ذلك تبقى نظريته في المعنى حاضرة.

لقد تخلى عن تصور الأول فيما يتعلق باللغة، لينظر إليها كأداة. ومن ثم فإن دلالة كلمة ما لم تعد ترتبط بواقعة الحال، بل باستعمالها. فنحن نستخدم اللغة لأغراض مختلفة، لأن اللغة لعبة تعكس نشاط الإنسان، لترتبط بذلك دلالة الكلمات بالوظيفة التي تؤديها هذه الكلمات في لعبة اللغة.[30]

وهكذا يرى أن المشاكل الفلسفية تظهر حينما تكون اللغة في عطلة، أي حينما يتم عزل كلمة ما في لعبة لغوية، بهذا فالكلمات لم يعد لها جوهر خاص، بل يمكن أن يكون لنفس الكلمات استعمالات عدة، وما تلتقي فيه هذه الاستعمالات يسميه بالتشابه العائلي. فالدلالة بهذا المعنى عامة واجتماعية وليست فردية وخاصة.

ذهب فيتغنشتاين إلى القول في كتابه " بحوث فلسفية " إلى القول بأن الخلط في استعمال اللغة هو الأصل في العديد من المشاكل الفلسفية. كما ناقش قضايا تتعلق بالمنطق وأسس الرياضيات والوعي. حيث بين أن معظم المشاكل الفلسفية ناتجة عن عدم قدرة الفلاسفة عن الفهم الصحيح لقواعد اللغة. فعندما يتساءل الفيلسوف مثلا عما هو الجمال فهو يتصور ضرورة وجود شيء نقول عنه أنه جميل، لكن الأمر يتعلق في الواقع بخطأ ناتج عن الصورة النحوية للسؤال ما هو ؟ لهذا يظهر أننا لسنا في حاجة لفهم ما هو جوهر الجمال لاستعمال اللفظ " جمال " بشكل صحيح.[31]

في المرحلة الأولى حلل فيتغنشتاين العالم إلى وقائع، أما في المرحلة الثانية فقد وجه تحليله إلى الاستخدامات المختلفة للغة، فالتحليل بالنسبة لفيتغنشتاين هو غاية الفعل الفلسفي ووسيلة لحل المشاكل الفلسفية، فالهدف منه توضيح اللغة لإزالة الغموض عنها وإثبات أن المشكلات الفلسفية ليست مشكلات حقيقية. يقول: حينما يستخدم الفلاسفة كلمة مثل " المعرفة " أو " الوجود " أو " الموضوع " " الأنا " أو " القضية " أو " الاسم " ويحتولون إدراك ماهية الشيء فينبغي على الإنسان أن يسأل نفسه: هل تستخدم الكلمة دائما بالفعل على هذا النحو في ألعاب– اللغة التي تكون بمثابة موطنها الأصلي "[32].

لا شك أن هناك طرقا عدة لاستخدامات اللغة. فبالعودة إلى مرحلة تفكيره الفلسفي الأولى نرى وصف العالم يعتبر طريقة من طرق الاستخدام اللغوي من بين الطرق الأخرى. وقد أدرك بأن هذه الطريقة غير كافية لتحديد الوظيفة التحليلية للغة، خصوصا اللغة الجارية أو العادية، لكونها لغة حية تعكس الحياة في أوسع معانيها، لهذا فاستخداماتها لا تنحصر في وصف العالم فقط، فالوظيفة التي أراد فيتغنشتاين حصر التعابير اللغوية فيها في فلسفته الأولى غير كافية، فهناك مفردات مثل الأمر، والاستفهام، والشكر والرجاء، والمدح والقدح، واللعن والتحية، والدعاء..الخ، لم يكن لها موقع إطار مرحلة تفكيره الفلسفي الثانية حيث يقدم فيتغنشتاين قائمة طويلة لأمثلة من هذه الاستعمالات المختلفة للألفاظ.[33]

وقد جاء التصور الجديظ في الفقرة 23 من كتاب بحوث فلسفية الذي ينتهي بالملاحظة القائلة: " إنه لمن الطريف مقارنة تعدد الأدوات في اللغة، وطرق استخدامها، أي تعدد أنواع الكلمة والجملة، بما كان يقول المناطقة عن بينة اللغة. بما في ذلك كتاب رسالة منطقية فلسفية. ويتضح من ذلك تخليه عن النظرية التصويرية للمعنى، ويتساءل في الفقرة نفسها عن عدد أنواع الجمل. ويرى أنها لا تحصى كما لا تحصى الكلمات والجمل في كتابه الأول.

وهكذا فإن اللغة لا تقوم بتصوير العالم الخارجي فقط، بل تقوم بتقديم أدوات اللعب وتوافر شروط جميع الألعاب التي يمارسها في حياتهم، ولذا يحتوي مصطلح " لعبة اللغة " على مجموع ألفاظ اللغة تعبر عن نشاط أو أنشطة الحياة الاجتماعية المختلفة.

وقد ظل تحليل اللغة الهدف الأساسي من فلسفة فيتغنشتاين المتأخرة " الفلسفة ليست في الجملة، بل في اللغة "، أي أن وظيفة هي تحليل للغة وما ينطوي عليه من مشكلات مثل المعنى وقيم الصدق وغيرها. وقد نتج عن هذا أن مشكلات الفلسفة في نظره ناتجة عن سوء استخدام اللغة؛ أي استخدامها استخداما خاطئا، لهذا يعتبر تحليل اللغة من أهم عناصر تصور فيتغنشتاين للفلسفة بصفة عامة وإن اختلفت في مرحلتي تفكيره الأولى والثانية.[34]

خاتمة

لقد كان الهدف من هذا البحث هو محاولة الاجابة عن السؤال عما إذا حافظ فيتغنشتاين على تصوره للفلسفة على الرغم من التغيير الذي حدث في تصوره للمعنى من مرحلتي تفكيره الأولى إلى الثانية.

وقد استعرضنا أهمية تصور المعنى عنده في تشكيل أفكاره الفلسفية ونظرته إلى القضايا والمشكلات الفلسفية، فكون القضية هي صورة للواقعة الذرية قاد إلى أن تكون النظرية التصويرية للمعنى حجر الزاوية في مرحلة تفكيره الفلسفي الأولى والتي نتج عنها ربط المعنى بالوقائع واستبعاد ما هو كاذب أو فارغ من المعنى بناء على ربط اللغة والقضايا بالواقع.

غير أن ما ميز مرحلة تفكيره المتأخرة هو ربطه المعنى بالاستخدام، وقد جاء بهذا من ربط اللغة بالأفعال والانشطة اليومية التي تدور في المجتمع. أي ربط المعنى بما يجري في واقع الحياة اليومية للناس. وهذا ما قاد إلى الاهتمام بتحليل اللغة الجارية أو العادية، الأمر الذي أدخل عناصر جديدة على مفهومه للمعنى كألعاب اللغة وكون اللغة صورة متحركة لتصوير الأفعال والأنشطة اليومية بعد أن كانت تصويرا للوقائع.

كما أن تصور فيتغنشتاين للفلسفة في مرحلة تفكيره الفلسفي الأولى منسجما مع المفهوم الذي تجسد في النظرية التصويرية للمعنى، حيث كان لحصره وظيفة الفلسفة في تحقيق الدقة والوضوح من خلال المعنى الدقيق، وتصوره للقضية كتصوره للواقعة.

غير أن التحول الذي طرأ على تصوره للمعنى في المرحلة الثانية لم يؤثر على تصوره للفلسفة، فوظيفة الفلسفة في نظره تحليل للغة ولكن بانزالها من عالمها الميتافيزيقي المجرد إلى واقع استخداماتها في الحياة اليومية. وهذا ما سيحدد معناها بشكل دقيق ويقضي على استخداماتها الميتافيزيقية التي لا صلة لها بالواقع.

الهوامش:

[1]– نفس المرجع، ص 75.

[2]– فيتجنشتاين لودفيغ: رسالة منطقية فلسفية العبارة رقم 003-4 ترجمة ذ. عزي إسلام، مراجعة وتقديم، ذ زكي نجيب محمود المكتبة الأنجلو مصرية بدون تاريخ ص 83.

[3]– نفس المصدر العبارة رقم 4.0031، ص 83.

[4]– نفس المصدر العبارة رقم 4.112، ص 91

[5]– فيتجنشتاين، لودفيغ، مصدر سابق العبارة رقم 1، ص 63.

[6] - Ludwig- Wittgenstien « tractatuslogico-philosophicus » paragraphe 1.1 traduction: Gilles Gaston Granger Gallimard, Paris, 1993, p33.

[7]– (عزمي إسلام، ماكس بلاك، بشير خليفي، فيمل نازي) يؤكدون في كتاباتهم عن فينجنشتاين أن مفهوم العالم غير واضح بدقة.

[8]– المصدر السابق، العبارة رقم 1.11، ص 63.

[9]– المصدر السابق، العبارة رقم 2، ص 63.

[10]– المصدر نفسه، العبارة رقم 26، ص 67.

[11]– إسلام .ذ عزمي، المرجع السابق، ص 92.

[12]– فيتجنشتاين. لودفيغ، "الرسالة المنطقية– الفلسفية" ترجمة: عزمي إسلام مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، المقدمة، ص 59.

[13]– نفس المصدر ص 59.

[14]– إسلام، ذ. عزمي، فيتجنشتاين، مرجع سابق، ص 138.

[15]– فيتجنشتاين، مصدر سابق، العبارة رقم 4.0031 ص 83.

[16]– فيتجنشتاين، نفس المصدر العبارة رقم 4.114، ص 92.

[17]– نفس المصدر العبارة رقم 4.001، ص 82.

[18]– نفس المصدر العبارة رقم 4، ص 82.

[19]– فيتجنشتاين العبارة رقم 4.461 ص 104.

[20]– فيتجنشتاين، مصدر سابق، العبارة رقم: 4.112 ص 91.

[21]– نفس المصدر العبارة رقم 4.116 ص 92.

[22]– نفس المصدر، العبارة رقم 6.53 ص 163.

[23]– حمود، جمال، مرجع سابق، ص 149.

[24]– نفس المرجع، ص 152.

[25]– نفس المرجع، ص 160.

[26]– نفس المرجع، ص 160.

[27]– الباهي حسان، في عودة فيتغنشتاين، مقال منشور في مجلة المخاطبات العدد 09 / يناير 2014 ص 136

[28]- الباهي حسان، مرجع سابق ص 137

[29]- الباهي حسان، في عودة فيتغنشتاين، مقال منشور بمجلة المخاطبات ISSN I737-6432 عدد 09 / يناير 2014 تونس ص 135

[30]- نفس المرجع ص 135

[31]- نفس المرجع ص 136

[32]- لودفيغ فيتغنشتاين، بحوث فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة وتقديم عبد الغفار مكاوي، الكويت: مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 1990 ص 106

[33]- لذة العتيبي، فيتغنشتاين والمعنى، منتدى المعارف، الطبعة الأولى بيروت 2020 ص 80

[34]- مرجع سابق ص 81